

ترويض الحواس

لا يخفى ان اعضاء الانسان تزداد بالتمرين قوّةً ودُربةً على الاعمال حتى لقد يبلغ ذلك من بعض الناس مبلغاً يوهم الناظر ان الطبيعة قد افردتهم بموهبةٍ خاصّة وانظر في ذلك الى احسام المصارعين ومعتادي الاعمال الشاقّة تَرَ ابدانهم قويةً صلبة وعضلهم شديدة مكتنزة حتى ان منهم من يصارع الاسود والثيران فيصرعها ومن يقبض على اللوزة الصلبة بين اصبعيهِ ويضربها بسبّابتهِ فيقصمها وترى الذين يزاولون الالعاب الرياضية فيهم من لين المفاصل وسهولة الحركات ما لا تراهُ في سواهم فينطوي احدهم على نفسهِ كيف شاء ويحرّك اطرافهُ الى كل جهةٍ حتى تتوهم ان مفاصلهُ مخلَّعة وان « عظامهُ من خيزران » . وقس على ذلك اصحاب كل صناعةٍ من الصنائع اليدَوية فانك ترى فيهم من المهارة والخفة ما لا يستطيعهُ متكلف تلك الصناعة مهما كان

عندهُ من الحذق وسرعة التناول ما لم يمارسها ممارسةً طويلة حتى يمرُن عليها وتصير ملكةً فيهِ . وحسبك من ذلك ما يُرَى من اصحاب المثاقفة اسيے الملاعبة بالسلاح والمولعين بالصيد ورمي الرصاص فان منهم من يضرب اسطوانة الحديد بالسيف فيبريها بري القصب ومن يعلّق خيطاً ينوط بطرفهِ حجراً ثم يطلق الرصاص على الخيط فيقطعهُ ومما يُروَى عن بعضهم انهُ رمى تسع رصاصات على ساق شجرةٍ فلم يُرَ الا اثر رصاصةٍ واحدة فلما نُشرت الشجرة اذا الرصاصات التسع منتظمة في جوفها الواحدة فوق الاخرى والاحاديث في مثل ذلك كثيرةٌ مشهورة

ولكن هناك امراً آخر هو اخفى سريرةً وقد لا يتنبه لهُ الا القليل من الناس وهو انك اذا تتبعت افعال الحواس من البصر والسمع وغيرها وجدت بينها من التفاوت في القوَّة والضعف ما لا يقلّ عن مثل ما ذُكر بين سائر الاعضآء وان كانت الحواس نفسها متساويةً في اصل البنية . وذلك ان من يزاول الاعمال الدقيقة كالجوهريّ والنقاش يكون بصرهُ اقوى على ادراك دقائق المنظورات من البنّآء والنجار مثلاً وهذان يكونان اقرب الى تمييز الاستقامة والاعوجاج في السطوح والخطوط من الصائغ والخياط وهلمَّ جرًّا وذلك تبعاً لما يزاولهُ كلّ واحدٍ من اولئك بحيث تكتسب حاسّتهُ قوّةً يدرك بها من اول نظرةٍ ما لا يدرك سواهُ بعد التأمل والاستثبات وقس على ذلك في سائر الحواس على ما سنذكرهُ

على ان الحواس لا تُخلَق كاملةً في الانسان ولا تظهر قواها الا بعد التمرين والاستعمال وبعبارةٍ اخرى بعد المزاولة والكسب . فيكون البصر

مثلاً مع تمام آلته ِ غير قادرٍ على ادراك المبصرات لعدم تعيُّن مقرّ البصر في الدماغ اذ هو انما يتعين بعد الممارسة والتكرار واُلفة الاشيآء المبصرة على التدريج · قالوا ولا يتمّ ذلك في الطفل الا في الشهر الثاني من مولدهِ كما يُستدَلّ عليهِ من انك اذا هوّلت عليهِ قبل ذلك بيدك لا يطرف بجفنهِ ولا يظهر منهُ ما يدلّ على انهُ شعر بمرور يدك امام عينيهِ مع ان ذلك من الافعال القسرية في كل انسان حتى انهُ لا يستطيع ان يضبط جفنهُ من ان يطرف الا في احوالٍ مستثناة يتكلف فيها ذلك عمداً · وكذا امر السمع فانهُ لا يتمّ فيهِ الا بعد ان تمرن اذنهُ على الاصوات الى ان تقع مواقعها منهُ وتتميز لهُ الا ان السمع اسرع تماماً من البصر لانهُ يظهر فيهِ بعد ثلاثة ايام بدليل ما يُرى فيه اذ ذاك من الأُنس بالمناغاة والارتياع من الاصوات الشديدة · وقس على ذلك بقية الحواس بحيث انهُ لا يتمّ حسها الا بعد توارد المحسوسات عليها وانطباع اثرها فيها مرةً بعد اخرى الى ان تألفها

الا ان هذا القدر من تمرين الحواس غير كافٍ لأن يبلّغها حقيقة كمالها ويستخرج كل ما أُودع فيها من الاستعداد ولكن مبلغ ما تنتهي اليهِ الحسّ الفطريّ الذي يستوي فيه الانسان وغيرهُ من الحيوان بل قد يكون في بعض الحيوان اكمل منهُ في الانسان كالشمّ في الكلب والبصر في البازي وغير ذلك مما يتسلسل اليهِ الارث · وانما بلغ الحيوان هذه المنزلة من قوّة بعض الحواس لاعتمادهِ عليها في تعرُّف المحسوسات وكثرة تمرينهِ لها واستقصآئهِ في تتبع مداركها حتى اتى على آخر ما في طوقها وهي القاعدة

الطبيعية في تقوية اعضاء الحسّ وغيرها وبمقدار ما تمرن على الافعال الخاصة بها تكون اقرب من الكمال ويكون الانتفاع بها اتمّ

ومعلومٌ ان البصر من اوسع الحواس ادراكاً وابعدها تناولاً واشدها علاقةً بالعقل لان الجانب الاكبر من المدارك العقلية واردٌ على الدماغ من طريق البصر ولذلك كان البصر احرى الحواس بالرياضة والتمرين ليكون كل ما يوردهُ على العقل صحيحاً . ومع كونهِ بهذه المنزلة من الاهمية فانهُ من اشد الحواس قبولاً للخطآء والوهم كما انهُ من اكثرها قبولاً للكمال وذلك لشدة تشابه الصور عليهِ وقبولها للتمويه ولو كان صاحبهُ من اعلى الناس مداركَ . ومما يُروى عن الملك بطلميوس الرابع الملقب بفيلوپاطور انهُ جرى مرةً بينهُ وبين الفيلسوف سفورس حديث البصر وما يجوز عليهِ من الصور المموَّهة فانكر الفيلسوف ذلك وزعم ان العين لا تقبل التمويه فلما كانا على المائدة امر بطلميوس ان يوضع على الخوان رمانٌ مصنوعٌ من الشمع الملوَّن فما عتم الفيلسوف ان مدّ يدهُ الى رمانةٍ منهُ وهمّ باكلها . على ان البصر المروَّض قد يبلغ من الدقة والاصابة المبالغ العجيبة حتى ان من الناس من يقع نظرهُ على الجمع الكثيف مجتمعاً في مكانٍ لجيش عدوّ مثلاً فيقدّر عددهُ بما لا يخطئ كبد الحقيقة ومن ينظر الى الشبح البعيد كبناءٍ او عمود فيقدّر طولهُ ومسافتهُ بما لا يبعد عن الواقع الا فيما لا قدر لهُ . ومن هذا القبيل المصوّر الذي يتناول أقيسة الاشباح بنظرهِ ولا سيما اذا تعددت واختلفت قرباً وبعداً فلا يخطئ شيئاً من اقطارها ومسافاتها . وتجد في الصيادين من يرمي الطائر في حال

طيرانهِ فلا يخطئه ُ لانه ُ يقدّر سرعته ُ وسرعة قذيفتهِ او سهمهِ فيسدّد سلاحه ُ الى النقطة التي يلتقيان فيها وهذا مما تشترك فيهِ العين واليد

على ان تقدير الاقطار والمسافات في المبصرات اسهل بما لا يقاس من تحقيق الالوان وسببه ُ انك لا تكاد ترى رجلين تستوي في نظرهما رؤية اللون الواحد حتى انك لو كلفت عشرةً من المصورين ان يصوّروا منظراً من المناظر يفرغون جهد ما عندهم من الصناعة في محاكاة الوانهِ لجآء هناك عشر صورٍ متباينة لا تنطبق احداها على الاخرى ولعل هذا هو السبب في انك ترى صور بعض المصورين كالحةً متنافرة الالوان وترى غيرها ذات نضرةٍ ورونق حتى كأن فيها روح حياة . قالوا وافضل ما يروَّض بهِ البصر لتصحيح ادراك الالوان ان يؤخذ بدراسة الوان الطيف على التدرُّج في الانتقال من لونٍ الى آخر مع مقابلة بعض الالوان ببعض حتى يتخذ كلٌّ منها صورةً راسخة في الذهن لا تقبل الالتباس ولا التمويه . واما ترويضه ُ على تحقيق الاشكال والمقاييس فافضل ما يستعمل فيهِ مزاولة الرسم والتصوير مع الاستعانة بالبركار حيث امكن بحيث ان ذلك يعطيهِ أقيسة المقادير ونِسَبها المحققة حتى يصير مع التكرار صادق الحدس الى اقرب حدٍّ ممكن

والسمع ليس باقلّ اهميةً من البصر من حيث ان كلاًّ منهما مورد اكثر المدارك العقلية غير ان السمع انما يُعتبَر كذلك بالنظر الى معاني المسموعات لا الى الصوت المسموع بنفسهِ بخلاف البصر فان الذي يتأدّى منه ُ الى العقل هو المبصرات باشخاصها لا شيءٌ آخر وراءَها . الا ان

هناك اشياء تتعلق بالصوت المسموع لذاته كالاصوات الموسيقية وتمييز صحيحها من مختلّها فان من اصحاب هذا الفن من يدرك صوت الآلة اذا شذَّت بين اصوات عدة آلات . على ان الآذان لا تستوي كلها في لطف الحسّ وقوّة التأثر بالاصوات ولذلك لا يمكن ان تبلغ كلها درجةً واحدة من الكمال مهما بولغ في الارتياض على سماع الآلات او غيرها بل كثيراً ما يكون السمع ناقصاً حتى ان ما يكون عند بعضهم نغمةً شجية لا يكون عند غيرهِ الا ضرباً من اللغط

واما بقية الحواس وهي الذوق والشمّ واللمس فمع ان اكثر منفعتها عائدٌ الى الحياة الحيوانية دون المدارك العقلية فان الاولين منها جديران بالتمرين والتقوية لأنهُ بالاول منهما تُدرَك لذة الطعام وتميَّز طبائع الموادّ التي تدخل المعدة والثاني بمنزلة حارس للاول لان الاطعمة الفاسدة تكون على الغالب فاسدة الريح فتُجتنَب قبل ادخالها الفم وقد يُدرَك بهِ من فساد بعض الاطعمة ما يخفى على الذوق لان منها ما اذا دخل عليهِ الاختمار تغيرت ريحهُ ولم يظهر تغيرٌ في طعمهِ . واعظم الآفات المضعفة للذوق ادمان الاشربة الروحية واستعمال التوابل الحادّة الطعم والاكثار من شرب الدخان وهذا الاخير مضعفٌ لحاستي الذوق والشمّ جميعاً

واما حاسّة اللمس فهي منتشرة في ظاهر الجسد كلهِ الا انها في الانسان اقوى ما تكون في الانامل ولا يخفى ان ذلك مسببٌ عن الاستعمال لان اليد هي آلة التناول والعمل على ان هذه القوّة قد تبلغ بالعادة مبلغاً لا يصدَّق حتى يُروَى ان بعض اللاعبين بالورق قد يدركون نقش الورقة

بمجرَّد لمسها فيشعرون بالقدر الناتئ عليها من حبر الطبع ويقال ان من الصيارف من يعرف عدد القطع التي توضع في يدهِ من مجرَّد ثقلها

بقي ان كلاًّ من البصر والسمع واللمس فيهِ استعدادٌ لان تزداد قوتهُ عند فقد احد الآخرَين فان قوَّة البصر في العميان تنتقل الى اناملهم وكذلك سمعهم يقوى حتى يدركوا ما لا يدركهُ سواهم من اصحاب السمع المتوسط والاصمّ يدرك بحركة الشفاه الحروف التي يُلفَظ بها فيستغني بالنظر عن السمع وهو ما لا يتوصل اليهِ صاحب السمع الصحيح . وهذا انما يُكتسَب باستخدام كلٍّ من هذه الحواس لقضآء ما يُدرَك بالاخرى حتى تقوى بالعادة والتمرين ولعل اللمس اذا فُقِد انتقل بعض قوَّتهِ الى البصر فادرك بهِ حال بعض الملموسات من نحو الهشاشة او الصلابة وهو ما ندرك بعضهُ ولو لم تُفقَد قوَّة اللمس فان الاجسام الصقيلة تكون على الغالب صلبة والمنفوشة بعكسها وبينهما الاجسام الكَمِدة اي التي لا صقال لها على ان النظر الى ما فيها من المسام قد يدلّ على ذلك وفي كل ما ذكرنا في هذا الفصل كلامٌ طويل اقتصرنا منهُ على هذا القدر حب الاختصار

المعارض

هي جمع معرِض بفتح الميم وكسر الرآء وهي لفظةٌ محدثة يراد بها مكان عرض المصنوعات والمخترعات من كل فنّ بقصد المنافسة والمباراة وحمل الناس على الاغراق في البحث والعمل للوصول الى غاية ما تبلغ اليه القوى العقلية والملكات الصناعية . فهي على هذا من مناحي الحكومات

المتمدنة التي من همها توسيع نطاق الصنائع والعلوم بين رعاياها تذرُّعاً الى ما يترتب على ذلك من سعادة الامة وفلاحها الا انها لم تبلغ الى هذا الطور من سموّ المقاصد الا في الازمنة المتأخرة حين تنبهت الحكومات الى استخدامها للمنافع العامة شأن كل امرٍ يتكامل مع مرور الزمن

واقدم ما ورد في التاريخ من ذكر المعارض ما رُوِي عن متقدمي اليونان من انهم كانوا يعرضون مصنوعاتهم الفنّية من الصور والتماثيل في الساحات التي تنتابها الجماهير من مواطنيهم الا ان ذلك لم يكن منهم على جهة المباراة بين اهل الصناعة وانما كان الغرض منهُ انتقاد تلك المصنوعات والكشف عما فيها من المحاسن والمساوئ . وقد كان عند العرب شيءٌ من ذلك الا انهم لما كانت بضاعتهم ما يصدر عن ألسنتهم كان المفلقون من شعرآئهم يعرضون قصائدهم في سوق عكاظ فمن حُكم لهُ بالتبريز علّق شعرهُ على جدار الكعبة

اما المعارض التي نحن في صددها فهي مما احدثهُ المتأخرون واوَّل ما أنشئ منها كان في رومية في اوائل القرن السابع عشر وكانت مقصورةً على عرض الصور والتماثيل على حد ما ذُكر عن معارض اليونان . ثم سرت هذه الرغبة الى فرنسا فأنشأت ندوة التصوير والحفر في باريز معرضاً لمصنوعاتها احتفلت فيه اول مرةٍ سنة ١٦٧٣ وكان حقّ العرض فيه مخصوصاً باعضآء الندوة بموجَب امتياز نالتهُ من الملك لويس الرابع عشر . واستمرّ هذا المعرض يُفتَح حيناً بعد آخر الى سنة ١٧٩١ وفي هذه السنة أُلغي امتياز رجال الندوة وأُطلق العرض لكل من شآءهُ من اصحاب

الفنيّن المذكورين . وكان عدد العارضين قبل سنة ١٧٩١ لا يتجاوز ٣٠٠ نفس فازداد في السنة المذكورة الى ٨٠٠ واستمرَّت الزيادة الى سنة ١٨٤٨ فبلغ عدد العارضين ٥١٨٠ وهو اليوم يختلف من اربعة الى ستة آلاف

اما المعارض الصناعية فكان مبدأها من اواخر القرن الغابر واول معرضٍ منها اقيم في فرنسا سنة ١٧٩٨ وكان العارضون فيهِ ١١٠ انفس ووُزّع فيهِ ٢٥ جائزة ثم تتابعت المعارض من هذا النوع في فرنسا وغيرها من اوربا حتى عمّت جميع الممالك التي لها شأنٌ في الصناعة

وكانت هذه المعارض في اول امرها مقصورةً على اهل كل مملكةٍ في خاصّة انفسهم وقوفاً عند الغرض المقصود من انشآئها فكانت فوائدها محصورةً في نطاقٍ ضيّق ولذلك خطر لتوراي وزير الزراعة والتجارة في فرنسا ان يقام معرضٌ عامٌّ تُعرَض فيهِ المصنوعات من جميع الممالك وعرض رأيهُ هذا سنة ١٨٤٩ الا انهُ لم يرق في عيون بعض الكبراء من اهل الصناعة فحالوا دون انفاذهِ . فلما كانت السنة التالية اصدرت ملكة انكلترا امراً باقامة المعرض نفسهِ في لندرا وان تُفتَح ابوابهُ لكل عارضٍ من جميع اطراف الارض وكان افتتاح هذا المعرض العظيم في اول مايو سنة ١٨٥١ وقد بُني لهُ مكانٌ مخصوص صُنع من الحديد والزجاج ولذلك سمي بقصر البلور ولبث مفتوحاً ستة اشهر وكان العارضون فيهِ ثمانية عشر الفاً منهم ٩٧٣٤ من الانكليز والباقون من سائر الممالك

وكان من نجاح هذا المعرض ما حرَّك غيرة الحكومة الفرنسوية فاصدرت امراً في سنة ١٨٥٣ بانشآء معرضٍ من هذا النوع افتتحتهُ في

منتصف مايو سنة ١٨٥٥ ولبث مفتوحاً ستة اشهر فصادف نجاحاً عظيماً وكان العارضون فيهِ نحواً من اربعة وعشرين الف نفس نصفهم من فرنسا واعمالها ووُزّع فيهِ ما يزيد على ١١ الف جائزة . وكان العرض في بناء مخصوص سمي بقصر الصناعة جدرانهُ من الحديد وسقفهُ مؤلف من ثلاث قبابٍ من الزجاج وطولهُ يبلغ ٢٥٠ متراً في عرض ١٠٨ امتار

ومن ذلك التاريخ شاعت الرغبة في اقامة المعارض في جميع ممالك الارض حتى اصبحت لا تمرّ سنةٌ بدون ان يقام فيها معرضٌ في احد البلدان الكبرى ولو شئنا ان نعدد جميع المعارض التي انشئت في هذه الخمسين سنة لأطلنا الى ما يوجب الملل ولكننا نقتصر على ذكر اشهرها وهي خلا المعرضين المذكورين معرض لندرا سنة ١٨٦٢ ومعرضا باريز سنة ١٨٦٧ و ١٨٨٩ وهذا الاخير كان اشهر معارض فرنسا واكثرها ريعاً وكانت اقامتهُ احتفالاً بمرور مئة سنة على الثورة الفرنسوية المشهورة ثم معرض ڤينا سنة ١٨٧٣ ومعرض فيلادلفيا سنة ١٨٧٦ ومعرض شيكاغو سنة ١٨٩٣

وآخر معارض هذا القرن المعرض الحالي في باريز وقد وُكل بوصفهِ حضرة الالمعيّ احمد زكي بك صاحب مجلة الدنيا في باريز فمن احبّ الاطلاع على نفائسهِ وسائر ممثّلاتهِ فليرجع الى المجلة المذكورة لكن يقال على الجملة انهُ قد فاق جميع المعارض التي سلفتهُ في الرونق والاتساع ودلَّت كثرة من ينتابهُ من الزوار على انهُ سيكون من اوفرها ريعاً

مناجم الذهب

قد أُولع الناس في هذه الايام بالبحث عن مناجم الذهب في كل جهةٍ من اقطار الارض فهم منتشرون فيها من خطّ الاستوآء الى نواحي القطبين حيثما لمع لهم وجههُ الوضاح تنعكس عنهُ اشعة السعادة على ثغور الاماني وجباه الآمال فهو على الحقيقة مغناطيس القلوب بل هو هو الاكسير الصحيح الذي يتحوَّل بهِ الشقآء الى غبطة والفقر الى غنى والنَصَب الى راحةٍ ونعيم

وفي معرض باريز اليوم تلالؤٌ من ذلك التراب الثمين من اراضٍ متباينة كالترنسڤال وكلنديك وغيرهما يقف الزائر امامها وطرفهُ مقيدٌ بها وقلبهُ يرفرف حولها وفمهُ يبتسم لها أُنساً بقربها وسروراً بمنظرها ولو عاد عنها وهو منها صفر اليدين

فلا عجب وللذهب هذه المنزلة من القلوب أن احتفل اهل سان فرنسسكو من عهدٍ قريب بمرور خمسين سنة على اكتشاف مناجمهِ في كاليفرنيا وكيف لا وهو العيد الذهبيّ الحقيقي وتذكار اعظم سعادةٍ ينالها الانسان في الحياة الدنيا . وقد استمرّ هذا العيد ثمانية ايام متوالية وكانت لهُ حفلةٌ بهيجة مشى فيها ما ينيف على اثني عشر الف نفس وكلهم بالملابس الفاخرة فطافوا المدينة وبين ايديهم عرباتٌ تشير الى رموزٍ تاريخية منها عربة سموَّها عربة الصينيين وهي تمثل سفينةً اسبانيولية من سفن القرن الخامس عشر وهو القرن الذي كان فيهِ اكتشاف اميركا . ومنها عربةٌ تمثل اول بعثةٍ للرهبان الفرنسسكانيين واخرى تمثل موضع المكس في

جبل فراي وهو اول بناء رُفع عليهِ علم الولايات المتحدة وكان شهود هذا الاحتفال ثماني مئة الف نفس

ولا بأس ان نلمّ هنا بذكر شيء من تاريخ هذا المعدن وهو ولا شك كان معروفاً من اوائل عهد المجتمع ولم يفتر الناس في كل دهرٍ عن طلبهِ والبحث عن آثارهِ . الا انهُ لم يكن معروفاً بقيمتهِ الا عند الامم المتمدنة كما تدل على ذلك الآثار الباقية عن الاولين كالمصريين والفينيقيين وغيرهم فان ملوكهم كانوا يتخذون منهُ تيجانهم وصوالجتهم وكانت منهُ قلائد الملكات واسورتهنَّ وزينة المعابد والآلهة وغير ذلك مما لا يزال الكثير منهُ الى اليوم في دُور الآثار . وبخلاف ذلك ما لو تفقدنا آثار الامم الهمجية غابرها وحاضرها فانا لا نجد عندهم ما يدلّ على تمييزهم لهُ عن سائر المعادن مع انهُ ولا ريب كان منهُ بين ايديهم شيءٌ كثير لقرب منالهِ وسهولة استخراجهِ وقلة ما يخالطهُ من الاتربة فهو في ذلك كالحديد والنحاس ولذلك كانت هذه المعادن الثلاثة من اقدم ما عرفهُ الانسان واستخدمهُ في حاجاتهِ

على ان الذي زاد في قيمة الذهب اصطلاح الناس على التعامل بهِ بحيث عمّ طلبهُ الاغنياء والصعاليك واشترك في ادّخارهِ الملوك والسوقة وهذا مع انهُ لم يكن في عهد الحضارة الاولى فان المتقدمين فضلوهُ على سائر المعادن لجمال لونهِ وبعدهِ عن الصدأ وصبرهِ على الرطوبة وسائر الآفات الجوية مع شدة قبولهِ للطرق والصقال ولذلك شاع استعمالهُ بين الامم المتمدنة وكثر تنافسها فيهِ وطلبها لهُ في مناجمهِ وهذا هو السبب في ان الذهب مع توزّعهِ في كل جهةٍ من القشرة الارضية لا يكاد يوجد اليوم في

البلاد المتمدنة او التي دخلها التمدن مرةً مع كثرتهِ في البلاد الهمجية كاستراليا وجزائر المحيط وبلاد الهوتنتوت والاسكيمو وغيرها

واقدم ما ذُكر من مناجم الذهب ما كان منها في بلاد اوفير وهي التي كان سليمان بن داود يبعث سفنهُ لاجتلابه منها وقد تقدم لنا كلامٌ على اكتشاف هذه البلاد في مجلد السنة الماضية (ص ٤٣٤) . وكان الفينيقيون يستخرجون الذهب من بلاد اسبانيا وكذلك الرومان من بعدهم وفي اوربا مناجم اخر قديمة في هنكاريا وترنسلفانيا كانوا يستخرجون منها نحو ٧٠٠ كيلوغرام في السنة . وكان بطرس الاكبر يستخرج الذهب من جهة بحيرة لادوغا وجبال ألتاي وأورال وغيرها من الاراضي الروسية وهذه الاخيرة لا يزال يُستخرَج الذهب منها الى اليوم

وفي آسيا مناجم كثيرة وغالبها في جزائر المحيط وفي اليابان وفرموزا وبرنيو وياوا وسومطرا وسيلان والجزائر الفيلبينية وغيرها وكذلك في افريقيا ولا سيما في الجهات الجنوبية منها والغربية ولكن اغنى جهات الارض بالذهب هي بلاد اميركا واكثرهُ في الشمالية منها وفيها مناجم كاليفرنيا التي مرّ ذكرها ومناجم كلُنديك وألسكا التي اكتُشفت من عهدٍ قريب

اما اميركا الجنوبية فقد كان الذهب فيها كثيراً لكن اكثرهُ استخرجهُ اهل البلاد الاولون ثم الاسبانيول من بعدهم وقد اكتُشفت في البرازيل في اوائل هذا القرن مناجم غنية جدًّا وكذلك كولمبيا تشتمل على ذهبٍ كثير ما برح يُستخرَج منها من زمنٍ بعيد . واكثر الذهب انما يؤخذ من الاراضي الطفالية وسُحالة الأنهر والسيول يُستخرَج منها بالغسل والتصويل

وما كان منهُ في الصخر تُسحن حجارتهُ ثم يُستخرَج كذلك واذا اتفق ان يكون مختلطاً بغيرهِ من المعادن كالفضة والحديد يُستخلَص بالطرائق الكيماوية من نحو الإلغام بالزئبق وغير ذلك مما لا محل للافاضة فيهِ هنا

الظُفر الناشب

كثيراً ما يتفق لبعض الناس ان ينشب ظفر ابهام رجلهِ في اللحم فيكون عن ذلك التهابٌ في اللحم والمٌ شديد وكثيراً ما تصعب معالجتهُ وقد رأينا في بعض المجلات العلمية الفرنسوية كلاماً في سبب نشوب الظفر وطريقة مداواتهِ فآثرنا تلخيص ذلك هنا افادةً للقرآء قالت

من المعلوم ان الاظفار من نوامي البشرة بمنزلة الشعر والريش والصدف وما اشبه ذلك وهي تبدأ بالنموّ منذ الشهر السادس للجنين واظفار اليدين تنمو عادةً ميليمتراً في الاسبوع واما اظفار الرجلين فيكون نموها بقدر الربع من ذلك اي انها تنمو كل اربعة اسابيع ميليمتراً واحداً وطول ظفر الابهام منها من حرف البشرة التي تحيط باصلهِ الى طرفهِ يكون بين ١٢ و١٧ ميليمتراً ومعدَّلهُ ١٥ ميليمتراً

واول من تكلم على الظفر الناشب ابو القاسم الزهراوي الطبيب الاندلسي المشهور وسببهُ فيما ذكر اكثر الجراحين ضيق الحذاء او سوء صنعتهِ بحيث تكون الاصابع مضغوطةً فيهِ او تكون القدم قلقةً فيحدث عن قلقها نفس الضغط الذي يحدث بسبب الضيق ومع الايام فالاظفار لحدّة اطرافها تنشب في اللحم ويكون ذلك سبباً لالتهاب اليم

ولا يخفى كثرة تفنن الناس في لباس الرجل وميلهم الى تحسين شكل القدم وتصغيرها بحيث انهم تارةً يحصرون الاصابع الخمس في طرفٍ ضيق وتارةً لا يعتدّون بزيادة بعضها على بعضٍ في الطول فيجعلون طرف الحذاء مربعاً وعلى الحالين يحدث من الضغط على الاصابع ما يربو بسببهِ اللحم المكتنف للاظفار وينتبر فوقها وباستمرار الضغط يغوص طرف الظفر في باطن اللحم ولا يعود استخراجهُ في الامكان

على ان الظاهر ان ضيق الحذاء ليس هو السبب الوحيد في نشوب الظفر لان النسآء احرص من الرجال على شكل اقدامهنَّ واشدّ تضييقاً منهم على اقدامهنَّ ومع ذلك فان الاحصآءات تدل على ان الظفر الناشب يكون في الرجال اكثر كثيراً مما يكون في النسآء . لكن يقال هنا ان حذاء المرأة مع انهُ على العموم اضيق من حذآء الرجل فانهُ كذلك يكون ألين وانعم فيكون الضغط الحادث عنهُ اقلّ تأثيراً . وبالتالي فان الظفر الناشب اكثر ما يكون في الطبقات السافلة من الرجال وهؤلآء قلما يهتمّون بشكل احذيتهم او يقصدون تضييقها كما يفعل اهل الطبقات العالية كما انهُ في الطبقات العالية لا يكون الجلد الذي يتخذ لأحذية النسآء ارقّ من الجلد الذي يتخذ لاحذية الرجال فبقي ان الاثر الذي يحصل من الحذآء في امر الظفر الناشب يرجع الى الحرفة التي يحترفها كل انسان ومقدار تعرضهِ للحركة والمشي والاعمال الشاقة

وللعمر ايضاً تأثيرٌ فيما نحن فيه فان اكثر ما يحدث من نشوب الاظفار يكون بين سن ١٤ الى ٢٠ وهو على الغالب يكون في طبقة

المعسرين ممن ليس في سعتهم ان يبدّلوا احذيتهم اذا ضاقت بسبب نموّ اقدامهم تبعاً للتقدم في السن

ومن الاطبآء من جعل السبب في ذلك قلة العناية بالامور الصحية ولا سيما عدم الاهتمام بازالة الادران المانعة من التنفس الجلدي في القدمين . ومنهم من يضيف الى ضيق الحذاء نوع قصّ الظفر بحيث يكون شكلهُ مهيئاً لدخولهِ تحت اللحم

وبالمراقبة تبين ان اكثر الذين يصابون بنشوب الظفر هم اصحاب المهن الشاقة التي من مقتضاها حصول ضغطٍ على الاجزآء اللحمية اما رأساً بواسطة الحذآء او بسببٍ آخر من وضع الجسم تبعاً لنوع العمل . وقد وُجد ان اصحاب هذه الآفة يكونون على الغالب من الطباخين وغلمان القهوة والخدامين والفلاحين والسعاة وامثال هذه الطبقة . على ان المهنة وحدها غير كافية لحدوث النشوب ولكن لا بدّ معها من استعدادٍ آخر من الاسباب المذكورة قبل

ومهما يكن فعند تحقق حدوث شيء من ذلك يجب ان يبادَر الى علاجٍ احتياطيٍّ فعال بحيث انهُ في المستقبل لا يُحتاج الا الى عملٍ جراحيٍّ خفيف يكتفى بهِ عن الاعمال الاليمة التي تُجرَى عادةً في مثل هذا . وافضل ما يعالج بهِ ذلك ازالة الاجزآء الزائدة بالقطع او بالكي وهو العمل الذي اصطلح عليهِ متقدّمو الجرّاحين على ان اكثرهم لا يكتفون بقطع الظفر ولكن يبترون اللحم من حواليهِ

ونختم هذا الفصل بان نقول انهُ يتفق كثيراً ان يُرَى في الاولاد

بسبب اختلال النموّ في اباهيم الارجل ما يدل على قبولهم لحدوث هذه الآفة فمن الواجب ان يُتنبَّه لتدارك الاسباب التي تساعد على حدوثها مما ذُكر قبلاً ومما لا شك في تأثيرهِ والله الواقي

التقويم الروسي

لم يبقَ من يجهل اليوم ان التقويم الغريغوري هو اصحّ من كل تقويمٍ سبقهُ لان تكرار الزمن اوصل الى تحقيق طول السنة بما لم يبقَ معهُ محلٌّ للخطآء الا في القدر الذي لا يُعتدّ بهِ مما لا يكشفهُ الا توالي القرون الكثيرة . وقد اعتمدت هذا التقويم جميع الممالك الكاثوليكية في اوربا منذ سنة ١٥٨٢ ولم تجرِ عليه انكلترا الا بعد ذلك بمئة وسبعين سنة اي منذ سنة ١٧٥٢ . واما مملكة روسيا ما خلا پولونيا وفنلندا فلم تبرح على الحساب القديم الى هذا اليوم وقد كان الخطأ حين التصحيح الغريغوري عشرة ايام وهي التي اسقطها البابا غريغوريوس من السنة فبلغ اليوم ثلاثة عشر يوماً لانهُ يزيد في كل ٤٠٠ سنة ثلاثة ايام بحيث انهُ على تمادي الزمن تنقلب السنة فتصبح اشهرها الشتوية في الصيف واشهرها الصيفية في الشتاء ثم هلمَّ جرًّا الى ان تعود الى ما كانت عليهِ بعد سبعة واربعين الف سنة . . .

وهذا لم يخفَ على العارفين من الروسيين ولذلك ما فتئوا منذ حين يبحثون عن وجهٍ يصححون بهِ حسابهم من غير ان يتابعوا التصحيح البابوي فعقدوا في هذه السنة مجمعاً اشتركت فيهِ نخبةٌ من رجال الندوة الفلكية في بطرسبرج ومن اعضاء السينودس المقدس وندوة العلوم الروسية وندواتٍ

اخر علمية وشهده نوابٌ من كل واحدة من الوزارات فكان من خلاصة بحثهم التصريح بخطأ الحساب اليوليوسي لكن مع تخطئة الحساب الغريغوري بان فيه فرق يوم في كل ٣٣٢٠ سنة . ثم اعتماد تقويم جديد يكون الخطأ فيه اقلّ من خطأ التقويم الغريغوري وذلك بان يتركوا الحساب القديم على حاله من جعل السنة ٣٦٥ يوماً وكبس كل سنة يُقسَم عددها على ٤ ما خلا السنين التي يُقسَم عددها على ١٢٨ وبذلك لا يزيد الخطأ على يوم واحد في كل مئة الف سنة . وهذا الفرق يحصل من ان اغفال الكبس على التقويم الجديد يكون في كل ١٢٨ سنة مرة وفي الحساب الغريغوري يُغفَل الكبس مرةً في كل ١٣٣ سنة

وحاصل ما في التقويمين اسقاط ثلاثة ايام من كل ٤٠٠ سنة الا انهُ على التقويم الجديد يقع الاسقاط في اثناء المئات لانهُ يكون عند تمام ١٢٨ سنة وفي التقويم الغريغوري يقع في اواخرها لانهُ يكون عند ختام كل مئةٍ لا يُقسَم عددها على ٤٠٠ وعلى كلٍّ من الحسابين لا بدّ من بقاء كسرٍ سواءٌ اجتمع عنهُ يومٌ في كل ثلاثة آلاف سنة ونيف او في كل مئة سنة . غير ان ما ذُكر من الاختلاف في زمن اغفال الكبس يؤدّي الى اختلاف التاريخ بين اصحاب التقويمين اذ قد يتفق ان يكون عند احد الفريقين اول مارس مثلاً ويكون عند الفريق الآخر ٢٩ فبراير ثم كذلك الى آخر السنة ويستمرّ هذا الفرق الى السنة التي فيها يُترك الكبس عند الفريق الآخر وهكذا فلا تحصل الفائدة المبتغاة من تصحيح الحساب بل يكون من هذه الجهة اشد تشوشاً لعدم اطّراد التقدم والتأخر في حساب

الايام · ولعل المجمع الذي قرر اعتماد هذا التقويم الجديد يعود عنهُ الى التقويم الغريغوري فانهُ اسهل مراساً واولى اتباعاً ولو لم يكن فيهِ الا توحيد الحساب بين اصحاب التاريخ الواحد لكفى

الشعر الخديوي

من ظريف الاختلاق ما قرأناهُ في جريدة البصير الغرّاء نقلاً عن جريدة الغولوى الفرنسوية وهو ما يأتي نرويهِ عنها بحرفهِ تفكهةً للقرّاء قالت

الظاهر ان مكاتبي الجرائد الاوربية يعمدون كلما ضاق لديهم مجال الاخبار الى تفكيه قرّائهم باحاديث الملوك والامرآء ولو كان الحديث الذي يروونهُ عنهم لا اصل لهُ الا في مخيلتهم · ومن هذا القبيل ما روتهُ جريدة الغولوى الفرنسوية وهي دون شك ناقلة اياهُ عن مكاتبها في لندرا الذي لم يعرف ما يقولهُ عن مقابلة سمو خديوينا المعظم لجلالة الملكة ورجال الحكومة الانكليزية فاخذ يصف الجناب العالي بانهُ من كبار شعرآء العربية وانهُ رفع الى جلالة الملكة قصيدة غرّآء مكتوبة بمآء الذهب فوضعتها الملكة فكتوريا في اطارٍ ثمين وعلقتها في مكتبها الخاص

وليس ذلك فقط بل انهُ نقل الى الفرنسوية كلاماً يقول انهُ مترجم عن بعض ابيات تلك القصيدة ونحن ننقل الآن الى العربية ما اوردتهُ جريدة الغولوى بدعوى انهُ من شعر الجناب الخديوي وهو من القصيدة المار ذكرها وقد رفعها سموّ الخديوي الى جلالة الملكة مع ضُمّةٍ من الزهر خلال زيارتهِ للندرا وهو

«انني ابعث اليكِ بهذه الضُمَّة عربوناً لمحبة الشعب المصري فكل وردةٍ وكل زنبقة وكل زهرة ياسمين فيها تمثل قلب مصري والرائحة المنتشرة من كل زهرةٍ منها انما هي بخور صلاةٍ مرتفعة نحو السمآء من اجلكِ ايتها الملكة القادرة ويا زهرة الملكات»

ذلك ما روتهُ جريدة الغولوى وقد فاتها ان المعاني التي نقلتها بعيدة عن معاني الشعر العربي بُعد روايتها عن الحقيقة فان للجناب الخديوي عن الاشتغال بالشعر شغلاً بتدبير شؤون بلادهِ . انتهى كلام البصير

ونحن اتماماً لمُلحة مكاتب الغولوى نقترح على حضرات شعرآئنا الالباء ان يفرغوا ما رواهُ عن لسان الجناب الخديوي في قالب النظم لننشرهُ على صفحات الضيآء والمأمول ان يكون ما يُبعَث بهِ الينا من ذلك قبل انتهآء العشر الأُوَل من الشهر القادم

مُتَفَرِّقَاتٌ

انقراض الخيل — لا يخفى ان الخيل قد قلّت الحاجة اليها في هذا العصر لان الآلات البخارية والكهربآئية قد اغنت عن استخدامها في المعامل الصناعية والاسفار وغيرها مما كانت تستخدَم فيهِ قبلاً ثم اختُرعت الدرّاجات ولم تلبث ان راجت سوقها وشاع استعمالها بين جميع طبقات الناس حتى قدَّر بعض اهل الولايات المتحدة انهُ عن قليلٍ سيبلغ عدد

المبيع منها الف درّاجةٍ في اليوم فقلّت الحاجة اليها في الركوب ايضاً وزاد على ذلك اخيراً اختراع العربات التي تسيَّر بالكهربآئية والبخار فلم يبقَ للخيل من عملٍ تستخدَم فيهِ ولا من يرغب في مقتناها وعلى الخصوص انها معرَّضةٌ لاخطارٍ كثيرة مع اقتضائها نفقةً مستمرّة ولذلك ففي رأيِ قومٍ انهُ عما قريب لا يبقى لوجودها معنىً الا ان تساق الى المجازر

احتياط من الحريق — من غريب الاحتياطات التي اتخذتها الحكومة في المانيا وسويسرا لتقليل حوادث الحريق انها امرت بان يعلَّق في كل كتّابٍ من كتاتيب الصغار صورةٌ ذات ستة مشاهد يمثّل فيها صنيع اولادٍ كانوا سبباً في حريق احد المساكن بلعبهم بالنار وان يُكتَب في رأس الصورة « الحذر من النار » . ويقول مراقبو هذه الحوادث في بعض مدن سويسرا انهُ بعد تعليق هذه الصور نقص الحريق ½٦٢٪ من الحوادث المسببة عن عبث الاولاد

تاريخ الرخام الصناعي — جآءَ في بعض المجلات الافرنجية ان الرخام الصناعي اقدم كثيراً مما يُتوهم اليوم فان العرب كانوا اول من استعملهُ ومنهُ جميع ما يُرَى في قصر الحمرآء بغرناطة من المنقوشات البديعة التي تظهر كانها منحوتة من الرخام الطبيعي وهي باقية الى اليوم لم يظهر عليها ادنى تغير وكان تمام بناء هذا القصر سنة ١٣٤٨

اسئلة واجوبتها

بغداد — من القواعد المطَّردة ان التصغير يردّ الاشيآء الى اصولها ومعلوم ان الاصل في نحو قائل وبائع الواو في الاول واليآء في الثاني مكان الهمزة ولكننا نراهم يبقون هذه الهمزة في التصغير ولا يردّونها الى اصلها فما السبب في ذلك مستفيد

الجواب — الاظهر انهم يفعلون ذلك لئلا يلتبس تصغير فاعل بتصغير فعال ونحوهِ مما ثالثهُ حرف مدّ فانهُ لو صُغّر قائم مثلاً على قويّم بالتشديد التبس بتصغير قوام لانهُ يصغَّر على قويّم ايضاً . على ان قلب الهمزة في مثل هذا حرف لين جائز ولو لم تكن منقلبة عن حرف علة فاذا صُغّر شمأل بالهمز جاز فيهِ شُميئل وشُمَيّل كما يقال حُطيئة وحُطَيّة الا اذا ادَّى الى التباس فيجب ابقآؤهُ على لفظهِ والله اعلم

***

طنطا — جآءَ في الكتاب الرابع من الدروس النحوية لتلامذة المدارس التجهيزية (صفحة ٩) ان الفعل الثلاثي اللازم تطّرد زيادة الهمزة في اولهِ للتعدية مع اننا نجد كثيراً من الافعال اللازمة لا تتعدى بالهمزة مثل ظَرُفَ وفَطِنَ وسلِمَ فهل نجري في هذه الافعال وامثالها على القاعدة المذكورة ام نرجع فيها الى السماع احد المشتركين

الجواب — جآءَ في شرح المفصَّل لابن يعيش ما نصهُ « نقل الفعل الثلاثي بالهمزة في غير التعجب موقوف على السماع غير مطَّرد في القياس لانهُ قد يكون بتشديد العين الا ترى انك تقول عَرَف زيدٌ الامرِ وعرَّفتهُ اياهُ ولم يقولوا أعرفتهُ وقالوا غَرِمَ زيدٌ وغرَّمتهُ ولم يقولوا أغرمتهُ فلا يسوغ النقل بالهزة الا فيما استعملتهُ العرب » . اه وهو المذهب الصحيح

آثار ادبيّة

الهلال — وردنا من حضرة الفاضل منشئ الهلال الاغرّ انهُ قد عزم على تحسين حروفهِ والاكثار فيهِ من نشر الرسوم والاشكال وفي مقابلة ذلك زاد قيمة اشتراكهِ فجعلها ٦٠ غرشاً في القطر المصري و٢٠ فرنكاً في الخارج . وقد نوى ان يجعل سنتهُ عشرة اشهر يُصدِر فيها جزئين في الشهر فيكون مجموع اجزاء السنة ٢٠ جزءًا والاربعة الاجزآء الباقية يعوضها بكتابٍ يجعلهُ ملحقاً في آخر السنة وسيكون ملحق السنة الآتية كتاباً في علم الفراسة الحديث يزينهُ بالرسوم والاشكال

فنحن نثني على همة منشئهِ الفاضل لما وقف لهُ نفسهُ من هذه الخدمة المفيدة ونتوقع لهُ الاستمرار في خطة النجاح

فكاهات

رواية

ضريح الحبيبين

في الجنوب الشرقي من فرنسا ديرٌ قديم للراهبات يدعى دير أمابرج وهو قائمٌ في وسط بقعةٍ فسيحة من ارضٍ غير مأهولة تحيط به حديقةٌ غنآء من اجمل ما رتبته يد الانسان واقربهِ مشابهةً للطبيعة وكان هذا الدير مطلاً على بحر بيسكي من الجهة الواحدة ومن جهاتهِ الثلاث على صحاري واسعة لا يكاد يُرى فيها بنآء واحد

واشتهرت راهبات هذا الدير بالفضيلة والتقوى وكان معظمهنَّ من الفتيات الغنيات ومن اشهر الأُسَر الفرنسوية دفعهنَّ الزهد في اباطيل العالم ومجدهِ الفاني الى التنسك والانقطاع للعبادة فاحتشدنَ في تلك البقعة يقطعنَ معظم اوقاتهنَّ في الادعية والصلوات ويصرفنَ ما بقي منها في اعمال البرّ من تجهيز ثيابٍ لاولاد الفقرآء او اعمال يدوية يرسلنهاِ في آخر كل سنةٍ الى باريز حيث تباع باثمانٍ وافية وتنفق قيمتها في الصدقة على البائسين او يوفدنَ من قِبلهنَّ وفوداً تصحب العساكر في مواقع الحروب لمداواة الجرحى والتخفيف من آلامهم

(١) معربة عن الانكليزية بقلم نسيب افندي المشعلاني

وفي ذات يوم قُرع باب الدير المذكور فبادرت الراهبات الى غرفة الرئيسة وقد اخذ منهنَّ العجب كل مأخذ لعلمهنَّ ان ديرهنَّ لا يزار وليس على سكة عمومية ليأوي اليهِ تائهٌ او متشردٌ فاسرعت الرئيسة الى صليبٍ من العاج فحملتهُ بيدها وسارت وتبعتها الراهبات كجيشٍ من الملائكة حتى بلغت البابَ وكان الزائر لا يزال يقرع بالحاح ففتحت الباب الخارجي واذا بشخصٍ ملتفٍّ بردآءٍ اسود قد وثب الى الداخل وتبينت الراهبات ان الزائر قد اتى ماشياً ولا رفيقٍ معهُ فتعجبنَ من امرهِ ثم اغلقنَ الباب وعدنَ بالزائر الى داخل الدير . ولما استوى بالجميع المقام خلع الزائر رداءَهُ الاسود فبرز من تحتهِ غادةٌ بل حوريةٌ من الحور العِين في مقتبل الصبوة بقدٍّ كالبان ووجهٍ كالبدر وقد انسدل على ظهرها شعرها الحالك فبلغ اقدامها وكان يطفح على محياها مآء الجمال ويتدفق من عينيها نورٌ ومن خديها نار بل كان في كل جارحةٍ من حسنها قمر . فدَهِشت الراهبات لهذا المنظر الغريب وخلنها من ملائكة السمآء قد هبطت اليهنَّ لتشاركهنَّ في عيشتهنَّ الهنيئة . اما الرئيسة فتقدمت الى الفتاة وصافحتها قائلةً اهلاً بكِ ومرحباً ايتها الفتاة ولكن هل لكِ ان تبرّدي غليل شوقنا بان تخبرينا من انتِ وما تقصدين من مجيئكِ في مثل هذا الوقت وانتِ وحيدة في اجتيازكِ هذه القفار المخيفة لا يحرسكِ حارس ولا يرافقكِ احد . ورأت الفتاة من حديث الرئيسة وهيئتها ما سكَّن روعها فتنهدت وقالت

انني يا امَّاه قد اختبرت العيشة في انحآء باريز فوجدتها شقآءً وعذاباً مستمرّاً وطالما كنت اتوق الى الابتعاد عنها والانفراد لعبادة العزة الالهية

وقد رأيت من شرور الناس وخبث ضمائرهم وسوء افعالهم ما كان يزيدني نفوراً منهم ورغبةً في الانقطاع عنهم حتى علمت بمقامكنَّ فوطَّنت النفس على المجيء اليكنَّ ومشاطرتكنَّ هذه الحياة الطاهرة . اما اجتيازي هذه القفار وحدي فقد كانت ترافقني فيها عينا الله وتحرسني عنايتهُ فلم يصبني ادنى سوء . وقد احضرت معي بعض النقود والحلى المختصة بي وهي ملكي وهاءنذا اقدمها لكِ يا اماه لتضيفيها الى مال الدير وهي وان تكن قليلة فانها جميع ما املك ولا اظنها تقلّ عن فلسي الارملة فهل لكِ ان تقبليني في عداد بناتكِ وتكوني اماً لي

وكان في كلام الفتاة سحرٌ وفي نطقها كهربائيةٌ فجذبت قلوب الراهبات اليها فاحببنها من تلك الدقيقة حباً شديداً ولم يكن ميل الرئيسة اليها اقلّ من ميل الراهبات فضمّتها الى صدرها وقالت لا بدّ قبل ان اجيبكِ على سؤالكِ من طرح بعض الاسئلة عليكِ فهل تجيبيني عنها . قالت نعم يا اماه اجيبكِ بقدر ما استطيعهُ . فقالت الرئيسة اخبرينا اولاً ما هو اسمكِ . فقالت اسمي لِنْدا واما اسم أُسرتي فانها من الأُسر الشريفة في فرنسا غير اني نسيتهُ منذ دخلت باب هذا الدير فهل تختارين لي اسماً جديداً او تكتفين باسم لِندا فاني افضل ان لا اغيرهُ . قالت الرئيسة لا بأس فليكن اسمكِ لندا ولكن هل كان مجيئك الينا برضى والديكِ . قالت لا . . . وانما اقسم لكِ يا اماه انني لم افعل بمجيئي ما يوبخني عليه ضميري ولا ما يغيظ الله مني . قالت وهل حدث من عهدٍ قريب حادثٌ كان سبباً لمجيئكِ الى هنا . قالت لا ولكني من زمنٍ طويل كان في نفسي ان اقضي حياتي

في مثل هذه العيشة وكانت الايام تزيدني رغبةً فيها • قالت وهل انتِ عذراء • فصبغ الدم وجنتي لِندا وزاد خفقان قلبها وسقطت الدموع الغزيرة من عينيها فانها لم تكن تتوقع مثل هذا السؤال وهي آية العفاف والطهر ثم تمتمت بصوتٍ قد خنقهُ الحيآء فقالت نعم يا اماه

وتأثرت الرئيسة فندمت على سؤالها ثم قالت كفى يا ابنتي فانتِ عندي اعزّ من روحي • ثم التفتت الى احدى الاخوات وقالت خذي هذه الاخت يا مرغريت الى غرفةٍ تليق بها ووفري لها اسباب الراحة فانها ولا بد قد تعبت من طول السفر • فشكرت لندا وخرجت بصحبة مرغريت وكانت مرغريت قد احبت لندا حباًّ يفوق التصور فما صدقت ان وُكِل اليها الاعتناء بها فاخذتها الى غرفةٍ فسيحة بجانب غرفتها وبعد ان جهزت لها لوازمها قبلَّتها وتركتها • ولما استقرّ بلندا المقام نهضت فغيرت ثيابها وغسلت عنها غبار السفر وعوضاً عن ان تستريح جلست على سريرها ثم اخرجت من صدرها صحيفةً وصورة فجعلت تقرأ الصحيفة وتنظر الى الصورة ودموعها تحدَّر على خدّيها تحدُّر الطلّ على الزهر • ثم عادت فاخفت الصحيفة والصورة وغسلت وجهها ورتبت ملابسها وخرجت الى المعبد وكان وقت الصلاة والراهبات يدخلنَ بترتيب فدخلت معهنَّ وقدَّمت هنالك صلاةً حارّة كان يشهد لها فيها شخوص بصرها الى السماء وتنهدها من قلبٍ جريح

. . . .

وبعد ايام اجتمعت رئيسة الدير باحدى الراهبات وجرى بينهما حديث لندا وذكر محاسن صفاتها فاخذت الراهبة تثني عليها ثناءً طويلاً لما ظهر

منها من الورع والصلاح وما في اخلاقها من اللطف والرقة ثم قالت وهي من اكثرنا مواظبةً على الشغل حتى انها كثيراً ما تشاطرنا اعمالنا فلا تكاد تُرَى جالسةً ولا متفرغة عن عملٍ تتشاغل بهِ وهي مع ذلك كلهِ ساكتة لا تنبس ببنت شفة . فقالت الرئيسة الذي يظهر لي انهُ لا بدّ لها من حديثٍ ولكنها لا تشاء ان تذكر ماضيها ولا اجرأ انا ان اسألها فهل لمحت احداكنَّ شيئاً من ذلك . قالت اني لم اسمعها تذكر شيئاً من ماضي حياتها ولا لمحت منها علامةً تدلّ على شيءٍ منهُ وانما اذكر انها يوم قصّت شعرها طلبت ان تبقيهُ في غرفتها ولا يزال عندها

وبقيت لِندا على الحالة التي وصفناها الى نهاية السنة ثم اخذت صحتها تتغير وجسمها يضعف وكانت لا تذكر ذلك ولا تخفف من شغلها اليومي حتى اخذت قوّتها في الانحطاط الى ان اضطرت الى لزوم الفراش وكانت الرئيسة والاخوات يبذلنَ كل ما في وسعهنَّ لشفائها فلم يجدِ ذلك نفعاً بل كانت حالتها تزداد شقاءً من يوم الى آخر وهي لا تزال باسمة الثغر متهللة الوجه يتدفق منهُ نور الجمال . وبقيت لندا ملقاةً في الفراش نحو شهرٍ او اكثر وكانت مرغريت لا تفارق سريرها لا نهاراً ولا ليلاً . وفي ذات يوم اشتدّ مرض لِندا وشعرت بدنوّ اجلها فنادت مرغريت وقالت لها انني اشعر باقترابي الى باب الديار التي لا راحة لي الا فيها . وقد جئتكنّ غريبةً وقضيت بينكنّ كل هذه المدة من دون ان تعرف واحدةٌ منكنّ عني شيئاً ولم يكن من الواجب ان اطلعكنّ على ماضي حياتي غير انني رأيت من حبكِ لي واخلاصكِ في مودتي وتشوّقكِ الى معرفتي ما يدفعني الى ان

ابوح لكِ بسرّي فاسمعي وانسي ما اقول

اني قد ربيت مع اختٍ لي في بيت نعيم وكان والدي من المتقدمين في وظائف الحكومة فكنا في بحبوحة العيش والسعادة ولما توفي والدي ترك لوالدتي اموالاً طائلة وغنىً وافراً فربتنا احسن تربية في اشهر المدارس فلم يكن يعوزنا شيء . وكنت في اوقات فراغي اطالع الروايات والقصص فلم اكن اقرأ او اسمع حديثاً غرامياً الا واراهُ محاطاً بالشدائد والغصص فنفرت من الحبّ وآليت على نفسي ان لا اسمح لقلبي ان يتعلق برجل ووطَّنت النفس على ان اقضي حياتي مع والدتي اتمتع بالحياة بدون شريك . ومن مدة سنتين – اجل من سنتين من مثل تاريخ هذا النهار – ذهبت مع والدتي وشقيقتي لزيارة صديقةٍ لنا في ڤرسايل فصادفنا عندها فتىً يدعى كاميل . ولا حاجة الى الاطالة في وصفهِ ولكني اقول لكِ اني مع كل اصراري على عزمي ونفوري من الميل والهوى لم اتمكن من كبح جماح فؤادي ولم اقوَ على منع قلبي من التطوع لسلطان الهوى فانقدت لداعي الغرام واخذ حبّ كاميل يزداد فيَّ يومياً حتى ظهر اخيراً لوالدتي . فلما علمت بهِ ارغت وازبدت واسمعتني ما لم يخطر لي ببال والسبب في ذلك ان كاميل مع كونهِ من اسرةٍ لا تنحطّ عن اسرتنا شرفاً وغنىً فان اسرتهُ كانت من الحزب الملكي فلما قامت ثورة الجمهورية وقتلت الاغنياء وسلبت اموالهم كان والدا كاميل واملاكهُ من جملة الضحايا التي ذهبت في ذلك الحين واصبح كاميل فقيراً مع كونهِ شريفاً . ولذلك كانت والدتي تزجرني عن هواهُ وتقول لن اسمح لكِ ان تقترني بهذا الفقير المُهمَل واجتهدتُ ان

اقنعها بان ما لديَّ من المال يكفيني واياهُ وانهُ في مقتبل الشباب وامامهُ ابواب المستقبل وسُلَّم النجاح واظهرت لها جميع ما يصورهُ لي الحب من الآمال فلم تلن ولم ترحم بل زاد نفورها منهُ ثم مني فكانت تكرهني وتكرهني على ان انساهُ او تنبذني . وعرف كاميل ذلك فكان كسوس ينخر فؤادهُ فجعل يدأب في تحصيل مقامٍ رفيع وبسطةٍ من الغنى ولكن وا اسفاه لم يسعدهُ الدهر وكان الحزب الملكي لا يزال مكسور الشوكة فلم يتوفق في متمناهُ . اما انا فكنت اجلس الليالي الطوال اندب بختي والحياة المرَّة التي يقضيها الانسان على وجه الارض . وفي تلك الاثناء تزوجت شقيقتي بشابّ اختارتهُ لها والدتي وكانت تُظهر لها المحبة والحنوّ وتظهر لي القسوة والغلظة فكانها كانت تدس السمّ في كأس شبابي . ولما ضاقت بنا الحال عزم كاميل على اختطافي والهرب بي فاتى يوماً الى غرفتي سرًّا واطلعني على مقصدهِ فابيت موافقتهُ خوفاً من العار ولكنني اقتنعت اخيراً وقبل ان نخرج من البيت علمت بهِ والدتي فنادت الخدم واتهمتهُ باللصوصية فسلموهُ الى الشُرَط وقادوهُ الى السجن . وعبثاً كنت احاول ان احرك شفقة والدتي واطلب لهُ العفو فلا تزداد الا اصراراً حتى كرهت الحياة بين الناس لاني لم ارهم الاّ ذئاباً خاطفة في ثياب الحملان ووحوشاً ضارية في هيئة البشر وصممت على الانقطاع عن العالم وهكذا فعلت وجئت الى هنا . ولم اشأ ان اغير اسمي لان كاميل كان لا يلذهُ الا سماع اسم لندا ولم افارق شعري لانهُ كان يحب النظر اليهِ ولم يكن لديَّ ما يذكرني بهِ سوى هذه الصورة والرسالة وهما كل ما لديَّ منهُ . ولما جئت الدير عزمت

ان انسى كل ماضيَّ وصممت على ذلك غير انني كنت ارى في الايقونة صورتهُ واسمع في جرس الكنيسة صوتهُ واتمثل في منامي شبحهُ ويظهر ان حبهُ قد تملكني ملكاً ليس في سلطتي التخلص منهُ الى ان اشرفت على هذه الحالة وانا شاعرة بدنو اجلي فدونكِ قصتي . ان هذا اليوم تذكار تاريخ معرفتي بكاميل وقد مضى على ذلك سنتان فكفى . . .

وكان الكلام والتهيج قد اثرا في لندا تأثيراً شديداً فالقت رأسها على الوسادة خائرة القوى ولما استراحت قليلاً نهضت ثانيةً وقالت لا لا . اني لا اطيق الحياة ولا اعلم اين هو او ما يقاسيهِ الآن . استحلفكِ بالله ايتها الاخت مرغريت اذا متُّ ان تدفني هذه الصورة وهذه الرسالة معي اما شعري فاني اهبهُ لكِ تذكاراً من المسكينة لندا . ثم اجفلت بغتةً كمن سمع صوتاً يناديه وصمتت هنيهةً ثم تبسمت وقالت كاميل كاميل . ان لم يكن اجتماعي بك الا هناك فهآءنذا ايها الحبيب . ثم سقطت على سريرها واسلمت الروح . . . . .

. . . .

في صباح اليوم الثاني قامت الراهبات بملابسهنَّ البيضآء وسرنَ بترتيبٍ حاملاتٍ الصلبان والمباخر ينشدنَ نشيداً يشقّ تأثيرهُ الصخور وهنَّ بين زفير وعويل وفي وسطهنَّ ستٌّ منهنَّ قد حملنَ جثة لندا مكللةً بالازهار فحملنها الى وسط الحديقة حيث دفنَّ جثتها واقمنَ لها لحداً من الرياحين والورود وجثونَ حول ضريحها للبكآء والصلاة عن نفسها

. . . .

في صباح ذات يوم قرع باب الدير ففتح واذا بالداخل فتى في عنفوان الشباب مليح الهيئة بهيّ الطلعة غير انهُ اصفر الوجه مكسور الطرف حزين النفس منقبض الصدر ولما قابل الرئيسة استأذنها اولاً ثم سألها هل قدمت الى ديرها فتاةٌ تدعى لندا . فلم يلفظ هذا الاسم حتى تساقطت دموع الرئيسة تساقط المطر واحتبس لسانها عن الكلام فاقتربت الاخت مرغريت الى الغريب وقالت لهُ هل انت كاميل . فقال نعم انا هو وهل لندا هنا . . استحلفكِ بالله وبطهارة ساكنات هذا الدير ان تسعي لي في مقابلتها لحظةً واحدة . فوضعت الاخت يدها على فمها مشيرةً اليه بالسكوت ثم امرتهُ ان يتبعها فتبعها صامتاً وهو كمن في حلم فذهبت الى غرفتها واخذت منها ضفيرة الشعر فدفعتها الى كاميل ثم سارت بهِ الى الحديقة حتى بلغت الضريح فاشارت اليهِ بمنتهى الحزن وقالت هي هنا منذ اول امس ثم سقطت على ركبتيها واستغرقت في البكاء . اما كاميل فوقف هنيهةً وهو لا يدري اين هو ثم جعل يبدي اشاراتٍ كمن فقد عقلهُ واخيراً عاد الى هداهُ فاعول وبكى بكاءً شديداً ثم سقط على الضريح يقبل تربهُ ويعطرهُ من دموعهِ ولم يزل كذلك حتى فاضت روحهُ فوق قبر حبيبته

ولما اطلعت الرئيسة على جميع ما جرى سمحت — وهي المرّة الاولى والوحيدة — ان يخالَف قانون الدير وتُضمّ جثة كاميل الى بقايا لندا فدفنوهُ بجانبها وكانت رئيسة دير أملَبرج وراهباتهُ يأتينَ كل يومٍ بعد الصلاة الى الضريح فيجددنَ ازهارهُ ويبكينَ الحبيبين ويصلينَ عن نفسيهما